أبوحمّو موسى الزَّيَّاني (السّلطان الأديب)

الأستاذة: مها عيساوي أستـــاذ مساع

معهد العلوم الإجتماعية و الإنسانية – قسم التاري

المركـــز الجامـــعـــي تبســ

ملخص :

هو أبو حمّو موسى بن أبي يعـــقوب، وينتهي نسبه إلى إيغمراسن مؤسس الدو الزيّانية، ولد سنة 723للهجرة في غرناطة، وتلقى تعليمه الأوّلي في مـــسقط رأسه، ثم ارتح إلى تلمسان صحبة والده بدعوةٍ من حاكمها أبي تاشفين الأول، وواصل تحصيل العلم فيه وعـــندما بلغ الرابعة عشر من العمر إستولى المرينيون على تلمسان، فاضطر إلى الخروج مع أه إلى ندرومة، حيث ارتحل من بعد إلى تونس الحفصيَّة، ثم قفل راجعاً إلى منطقة الزَّاب واستجمع جيشاً من قبائل الدَّواودة، وحرّر تلمسان من سيطرة المرينيين، وبذلك أحيا مج الدولة الزيانية من جديد سنة 760 للهجرة.

كانت لأبي حمّو آثار فكرية تنمّ عن سعة اطلاعه، كقرضه الشعر في مـــدح المصـــطفى (صلّى الله عليه وسلّم) ، وكذا كتاب في توصية ابنه وأهل بلاطه تحت عنوان" واسطة السّلو في سياسة الملوك ".

وقـــد ازدهرت الدولة الزَّيانية في عهـــده في جميع المجالات خاصَّة في المجا العسكري، إذ تمكّن من تكوين جيشٍ قويٍّ يحمي تلمسان، حتّى أن تلمسان عُدَّت حاضر المغرب الإسلامي في تلك الفترة،كما أقام علاقات مع بلاد الأندلس، وساند ملوك الطَّوائف فيها بالأمـــوال والغذاء، ومما اشتهر به أن بلاطه كان قبلةً للشعراء والمؤرخين والعلماء، وم أهمهم يحي بن خلدون أخو عبد الرحمان.

وكانت وفاته على يد ابنه أبي تاشفـــين الذي ثار عليه بسبب الحكم وقتله بع صراعات دامية، وكان هذا سنة 790 للهجرة.

Résumé

C'est ABOU HAMOU MOUSSA ben Abi Yacoub dont le lien familial s'arrête à IGHOUMRASSEN le fondateur de l'état des Zianides , Il est né en 723 de l'hégir a Cordone , ou il a connu ses premiers rudiments de l'enseignement , puis il est parti à Tlemcen avec son père suite à l'invitation de son gouverneur Ibn Tachfin 1er la Abou moussa a repris ses études ; lorsqu'il atteint l'age de 14 ans les Maronites ont pris Tlemcen . Il était contraint donc de s'installer à Nédrouma avec sa famille et puis à Tunis la hafside ensuite il est retourné au Zab ou il a formé une armée des Douaodas et a libéré Tlemcen de la domination Maronite et ainsi il a redonné renaissance à l'état des Zianides en l'an 760 de l'héjir.

ABOU HAMOU avait des pensées qui témoignent de capacité de penseur et auteur comme preuve ses éloges pour le profète (med) ainsi que son livre sous forme de conseils pour son fils rt son entourage sous le titre (intermidiaire dans la politique et des rois) ; l'état des Zianides a connu un épanuissement sous son regne est ce dans tout les domaines surtout militaire ou il pu organisé une armée forte qui protége Tlemcen qui s'est transformé la perle du magreb arabe à l'époque comme il a consolidé ses relations avec l'andalousse et a soutenu les rois des tribus avec l'argent et l'alimentation son palais était célébre par la présence des poetes , historien et autres et parmi ceux-ci ou peut citée YAHIA ben Khaldoun le frère de Abderrehmane .

Il a connu une fin tragique ou il a été par son fils Abou Tachfin qui s'est revolté contre lui a cause du pouvoir est ce rude conflits cela était en 790 de l'hégir.

أبو حمّو موسى الثّاني (السُّلطان الأديب)

- لم يعرف المغرب الإسلامي عبر تاريخه الطويل حاكماً مسلماً – من السكان الأصليين لبلاد المغرب – تميّز برجاحة العقل والحنكة السياسية، وجمع في شخصيته هيبة الحاكم وقوّته،

وفصاحة الشاعر ورقّته، وبلاغة الأديب وجرأته، مثل أبي حمّو موسى الثّاني حاكم الدولة الزيّانية التي كانت عاصمتها تلمسان في المغرب الوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي ، والذي عرفته المصادر التاريخية والأدبيّة بالسلطان الأديب.

و**الإشكالية** التي سنعالجها بالبحث والدراسة هنا تتمثل في مدى صعوبة الواقع السياسي للزيانيين وقدرتهم من جديد على تحقيق الاستقرار والأمن الذي حرمه إياه المرينيون، وتضارب الفكرة السائدة بان ازدهار الدولة الحضاري وخاصة العلمي والأدبي مرتبط باستقرارها السياسي.

أولاً : شخصية أبي حمّو موسى الزيّاني :

كانت بلاد المغرب بعد سقوط الموحّدين في منتصف القرن الثّالث عشر مقسّمة إلى ثلاث دويلاتٍ صغيرة، بنو حفص في تونس ، وبنو مرين في المغرب الأقصى، وبنو زيّان في المغرب الأوسط، وكان الصّراع دائماً بين المرينيّين والزّيّانيين حول حدود الملك بينهما، واستمرّ هذا الصّراع حتّى انضواء الجزائر تحت الحكم العثمانيّ، وقد تمّكن أبو حمّو من إحياء مجد دولته في تلمسان حيث ظلّ على عرشها مدّة ثلاثين سنة، كانت له فيها أحداث مختلفة [1].

1 – نسبه ونشأته :

أبو حمّو موسى بن أبي يعقوب بن إيغمراسن مؤسس الدّولة الزّيّانيّة، ولد في غرناطة سنة 723 للهجرة، و تلقّى تعليمه الأوّلي من حفظ القرآن الكريم والحديث الشّريف في مسقط رأسه، ثم ارتحل إلى تلمسان صحبة والده بدعوة من حاكمها – آنذاك – أبي تاشفين الأوّل، وعندما بلغ الرّابعة عشر استولى المرينيّون على تلمسان، فاضطر للخروج منها مع أهله إلى فاس، وهناك تزوّد بحصيلة أدبيّة وعلميّة، ثم توجّه مع قبيلته مرّة أخرى إلى ندرومة بهدف البقاء قرب تلمسان، وخلال هذه الفترة بدأت بوادر رغبته في الملك تضعف، وتتقّد في التّعلّم والزّهد عن الدّنيا، والاحتذاء بسيرة ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية في القرن الحادي عشر الميلادي [2].

وتولّى أبو حمّو موسى الحكم مابين (760 – 791 هجريّة) الموافق لسنة (1359 – 1389 ميلاديَّة) ، ولاعتلائه عرش تلمسان قصة أولها إلتفاف القبائل العربية حوله وإيمانها بقدرته على الوقوف في وجه المرينيين.

فكيف استطاع أبي حمو أن يتولى الحكم ؟

2- توليه الحكم :

بعد أن اجتمعت القبائل التّي تنبذ حكم المرينيين عليها، ذهب أعيانهم إلى أبي حمّو موسى يعرضون عليه أن يوحد كلمتهم ويقف في وجه أبي عنان، ولما استفسرهم عن سبب إختيارهم له أجابوه بأنه من نسب شريف وأصوله عريقة ضاربة في الحكم [3].

وكانت هذه القبائل من عرب زغبة بني عامر ومن الدواودة التي أيّدت أبي حمّو بجيش قوي لاستعادة ملك أجداده، وبدأ في السيطرة على قسنطينة وميلة متقدّماً نحو تلمسان لكنه عرج على منطقة الزاب حيث قبائل بني سويد التي أخضعها لسلطانه، وأثناء زحفه تزايد أنصاره، وعندما سمع به أهل تلمسان أعلنوا الولاء من بعيد، في الوقت الذي اقترب فيه أبي حمو من المدينة ونصب حصاراً حولها وفتحها وكان له ذلك في (08 / ربيع الأول / 760 للهجرة) الموافق ل (07 / فيفري / 1359 للميلاد) ، وبويع أباحمو وجلس على عرش المدينة يوم المولد وأرغم بنو مرين على الهجرة وترك أموالهم بتلمسان.

وفي يوم إعتلائه سدّة الحكم كسا كلّ من قدم إليه مهنئاً، وأكرم قبائل العرب من العامرية والمعاقيل وكانوا أزيد من ثمانية آلاف رجل مجزلاً عليهم "بالخيل والسروج والعدد المحلاّة بالعسجد واللجين والمال، ودفع لكل واحد منهم فرساً مسرّجاً ومهمازاً وعشرين برشالة (وحدة وزن) من القمح ومثلها من الشعير " [4].

وهكذا نجد أنّ أباحمّو أكرم أنصاره وشجعهم على العطاء دون حدود في سبيل إحياء أمجاد دولة بني عبد الواد في تلمسان.

ثانياً :الأوضاع السياسية والإدارية للدولة الزيّانية في عهد أبي حمو:

1 – مراحل قيام الدولة الزيّانية :

مرت دولة بني عبد الواد الزيانية منذ نشأته وإلى سقوطها على يد العثمانيين بأربعة أدوارٍ :

– دور النشأة : ودام 104 سنوات ، وقد استمر من تاريخ قيام الدولة إلى غاية سقوط مدينة تلمسان في أيدي المرينيين .

– دور الإحتلال المريني : ودام مدة أربع سنوات، واعتبرت فترة هامة في تاريخ الدولة لما كان من صراع بين بني مرين وبني حفص حول إخضاع القبائل الموالية للزيانيين.

– دور السلطة المطلقة في عهد أبي حمو : وتعتبر هذه المرحلة بمثابة الذروة من حيث التنظيم السياسي والإقتصادي للدولة الزيانية ، وخاصة بالنسبة للسيادة المطلقة في عهد أبي حمو الذي بذل طاقة كبيرة في جعل الدولة الزيانية مناراً للفن والعلم في المغرب الإسلامي على الرغم من محطات التفكك الداخلي والتهديدات الخارجية، ولو تأتى له بعض الإستقرار لوصل بالدولة الزيانية إلى أرقى مراتب الإزدهار لما تمتّع به من علم وحنكة وحسن تدبير يؤهله للنجاح والمضي في طموحاته.

والواقع أن مظاهر السيادة قد اكتملت في عهده، إذ جعل نظام الحكم السائد قائماً على مبدأ الخلافة في الإسلام ويعتمد على القرآن الكريم دستوراً للدولة يستقي المجتمع منه الأحكام والقيم ، ولعل هذا ما ميّز فترة حكمه وأوصل الدولة إلى التقدم الذي عرفت به في عهده (5).

– دور التلاشي : ويقصد به إنتهاء الدولة على يد العثمانيين.

ويعد دور السلطة المطلقة هو دور الازدهار والتفوق الحضاري إذ كان أبو حمّو أمير المسلمين وسلطان الزيانيين – آنذاك – وبالرغم من ذلك فقد اشتهر بين رعيّته بكنيته فقط حتى أن المصادر التاريخية أغفلت اسمه موسى وعرفته بكنيته أبا حمو.

2 – منجزاته الإدارية :

لم يسبق أن شرح حاكم لأسلوب تسييره دولته كما فعل أبوحمو، إذ ضبط شؤون دولته ثم دوّنها في مؤلَّف ضخم بعنوا ن : " واسطة السلوك في سياسة الملوك " ويشرح من خلاله كل ما يتعلّق بسياسته ومنهجه، ويعتبر أول مصدر لحاكم في بلاد المغرب ، حتى أن مؤرخ بلاطه يحي بن خلدون كان يرجع إليه أثناء تدوينه كتابه " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد " وهو ثاني مصدر أصيل ومغني للتعريف بدولة أبي حمو، على أننا لا نستبعد بعض التفخيم والمثالية عند اطلاعنا على هذه المصادر في جوانب مختلفة ولا سيما ما يمس علاقة أبي حمو بالدول والقبائل المجاورة، وبالرغم من ذلك فإن ما وصلنا منه يوضح بجلاء منجزاته السياسية والإدارية والعسكرية والثقافية والحضارية بوجه عام بأسلوب وضبط ندر مثله.

وفيما يأتي عرض لأوضاع الدولة الزيانية في عهده :

لقد أشرف أبو حمو بنفسه منذ البداية على تقسيم السلطة إلى ثلاثة أقسام :

الأولى : السلطة العسكرية ، ويتولاها صاحب السيف.

الثانية : السلطة القضائية ، ويتولاها القاضي.

الثالثة : السلطة الإدارية ، ويتولاها صاحب القلم.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ هذه المراتب الثلاث تشبه إلى حدٍّ كبير الآن مراتب الوزراء، كما قسم مراتب دولته على النحو الآتي :

3 – ترتيب السلطة السياسية :

* **الوزير** : ومن صفاته أن يكون بصيراً بالأمور، عالماً في العلوم الدنيوية، تتوفر فيه خصال ثمانية هي" أن يكون خيار قومه وعشيرته، منتزهاً عن المعايب، وافر العقل، حافظا لأسرار السلطان والدولة، حاضر الذهن، راجح الرأي، سريع الفهم، ناصحاً ودوداً صالحاً و شجاعاً" (6) ، فهو أقرب الحاشية إلى السلطان ويقضي أغلب وقته معه ليناقشه في أمور دولته وأحوال رعيّته.

* **كاتب السر** : وهو ثاني منصب بعد الوزير ، ويجب أن تتوفر فيه الخصال الآتية " أن يكون صحيح المذهب ، قليل الإخوة والأصحاب ، ومن ذوي البيوت والأحساب " (7)

* **كاتب الأشغال** : وهو الذي يضبط أعمال السلطان وينظم مساره.

* **الجلساء و الندماء** : وهؤلاء تتوفر فيهم الفصاحة والبلاغة وسداد الرأي، ينصحون ويخلصون للحاكم، ومنهم يُختار الوزير.

وقد قام أبو حمو باختيار قاضي البلد بنفسه وكذا الفقيه وصاحب الشرطة لحساسية مناصبهم، واستحدث منصب الوالي على كل قبيلة ومدينة تابعة للدولة، ويساعده المحتسب وجابي الضرائب (8).

وهكذا كان النظام الإداري في عهده مرتبا، إذ أثبت أنه صاحب نظرية سياسية أصيلة في الحكم وسياسة العباد سيّر بها الدولة مدة ثلاثين سنة (9).

ثالثاً : إحياء أبي حمو مجد الدولة الزيانية وعلاقته بقبائل المغرب الأوسط :

لم يعرف المغرب الإسلامي توحدا في صفوفه بسبب طبيعة التركيبة الاجتماعية القائمة على العصبية القبلية والتجانس الغريب بين القبائل البربرية والقبائل العربية، ولذلك فقد كان أبو حمّو صاحب حكمة ودهاء في لم صفوف القبائل التي ساندته في ظل ظروف سياسية تشجع على الفرقة و الانفصال أكثر من التوحد في إطار دولة لها أركانها ، فما تثبته المصادر أنه استطاع إخماد نار الفتن والاضطرابات التي أثارها بنو مرين وخاصة بعد سيطرته على تلمسان،

إذ بدأ في عملية التوسّع الداخلي الأفقي مع استراتيجية مفادها الإبقاء على سلطة شيوخ القبائل وإعلانهم الولاء العسكري مع احتفاظ كل قبيلة بنظامها وكيانها الخاصين.

ففي منطقة القبائل وإقليم وهران- على سبيل المثال - استعان ببني حفص سنة 761 للهجرة عندما بعث أبو حمو وزيره "ابن برغوث " إلى وهران فغلبه المرينيون، وبعد عدّة أشهر جمع أبو حمّو جيشاً لملاقاة بني مرين عندما وصلته أخبار بأنهم متقدمون نحو تلمسان بتحريض من أولاد عرين بفاس ومعهم أحد وجوه بني مرين ويعرف " بمسعود بن رحّو بن علي بن ماساي الفودودي "فطلب أبو حمو من (قبيلة الدبدو) أن تسبقه إلى وجدة التي حاصرته وتمكّن بفضل هذه الحيلة من الانتصار عليه وتقهقر المرينيون، وتمّ فتح وهران وتنس، وعفا أبو حمّو عن حاكمها " ابن حشمي " (10).

كما أمّن قبائل بني عامر وأبقى على شيخهم "سيدي الصغير" مكتسباً ودّهم وتقديرهم، وبهذا الأسلوب خضعت له المنطقة الممتدة بين الشلف شرقاً إلى حدود فاس غرباً.

وساندته قبائل الدواودة في السيطرة على وهران، كما انه انتصر على تمرد بوزيّان في المدية سنة 768 للهجرة في معركة " الصفصيف "، وعلى إثرها خضعت بقية القبائل في المناطق المجاورة من عرب بني سويد والديالم والعطّاف وبني يعقوب وأولاد حصين وزغبة.

كما استخدم أسلوب المكاتبة قصد استئلاف بعض القبائل الأخرى كقبيلة رباح وبني راشد وكان ذلك سنة 771 للهجرة (1369للميلاد) (11).

وهكذا : عاش أبو حمّو في وئام مع القبائل المجاورة، وصراع وتأمين مستمر لحدوده مع بني مرين - الذين رغبوا دائماً في التوسّع على حساب تلمسان - مدعّماً أركان الدولة الزيّانية، وحليفاً لأمراء الأندلس والحفصيين.

رابعاً : أبو حمّو السلطان الأديب :

1 – مؤلّفاته الأدبية :

خلّف أبو حمّو آثاراً أدبيـــة جمّة تعكس مستوى التعليم الذي تلقّاه في صباه وتقدم صورة صريحة عن تطور العلوم الإنسانية في المغرب الأوسط أثناء القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي).

وسبب ميله إلى الآداب هو نشـــأته في بيـــئة تهتم بالعلوم وتقدرها في فاس وتلمسان وتونس، وكلها مراكز إشعاع فكري في تلك الفترة، وأهم أثر مكتوب لأبي حمو هو كتابه "واسطة السلوك في سياسة الملوك" ضمّنه آراءه السياسية وبعضاً من قصائده الشعرية، وقد كتب بلغة أهل زمانه فهو "متكلّف التعبير ومتداخل الفقرات، ومتشابك الموضوعات".

وبصورة نقدية فإنه قد تم رصد أخطاء منهـــجية عند التدوين، وعلى كلّ فما يؤخذ عليه ما يلي : لا يدلّ عنوان الفصل منه على كل ما سيرد فيه، بينما قد يرد في العنوان ما يستأثر بجانب غير رئيسي مما قد يجيء تحته، وقد يستغرق الحديث عن أفكار متعددة أسطراً مـــعدودة، بينما قد يستغرق التمثيل على فكرة واحدة صفحات عديدة، ثمّ قد يتحدّث في المكان الواحد عن أمور عديدة، بينما يتحدث عن الموضوع الواحد في أماكن متفرقة (12).

ومهما يكن فقد حمل لنا عن معلومات ذلك العصر ما لم يتأت من مصادر أخرى دونت بغرض التأريخ.

* **مواضيع الكتاب** : وضعه سنة 765 للهجـــرة (الموافق لسنة 1363 للميلاد) ، يخاطب فيه ابنه " أبا تاشفين"واعظاً إياه، يدعوه إلى التمسك بحميد الخـــلُق وأنبل الصفات، إذ يقول :

" ... وقد وضعنا لك بنيَّ هذا الكتاب وجمعنا لك ما يصلح لك بين أمور الدنيا والآخرة ... وبعد حفظك لكتابنا هذا واتباعك للأمور الشرعية والسياسة الدنيوية فتكون عمدتك كلّها التوكل في جميع أمـــــــــــــــورك على الله تعالى والتفويض له ... " (13).

هذا ويعد "واسطة السلوك " كتاباً سيـــاسياً ضمنه الحوادث التي وقعت له في سنوات حكمه، وصراعه مع المرينيين، والسياسة التي يجب اتباعها من طرف الــملوك، والصفات الواجب التحلي بها، وهو ذو طابع أخلاقي وتربوي، ويحمل نظرية سياسية ورؤيا جديدة في الـــحكم تتمثل في تأديب الفرد من أجل تأديب الجماعة.

وينقسم إلى ثلاثة أبواب :

- الباب الأول : يحتوي على نصائح عامة منها الأمر بالـــمعروف والنهي عن المنكر وملازمة اهل العلم والتقوى، والعناية بالجيوش وإقامة العدل في صورة شعر ونثر محكمين.

- الباب الثاني : في أركان الملك وقواعده الأربعة (العقل والسياسة والعدل والإعتناء بجمع المال).

- الباب الثالث : أوصاف الحاكم من شجاعة وكرم ، ويـــتضمن دراسة نفسية لأحوال الناس، وفي الخاتمة يتجه إلى ابنه بالنصح والإرشاد ويحثه على العمل القويم (14).

ومن كتابه استطعنا تتبع آثاره العمرانية والفنية وأحوال المجتمع في عهده.

وعلى العموم فقيمة الكتاب تتجلّى فيما يأتي :

- تاريخياًّ : يحتوي على أخبار وآراء تاريخية عن المؤلِّف والأشخاص الذين كانوا بارزين في عصره.

- اجتماعياًّ : يعمل على تهذيب الفرد ووضع مجموع المثل والأخلاق السامية للعمل بها.

- أدبياًّ : انفرد بأسلوب لغوي رفيع (15).

2 – قصائده الشعرية :

ما وصلنا من شعر أبي حمو واحد وعشرين قصيدة تحتوي على ما يقارب من ألف بيت ، تدور حول أغراض مختلفة كالفخر والحماسة والرثاء ومـــدح الرسول الكريم (صلّى الله عليه وسلّم) ، وقد قيلت في مناسبات خاصة كبعض المواقف السياسية ووفاة والده و الاحتفال

بليلة المولد النبوي الشريف، ويتنوّع شعره من حيث القيمة اللغوية فهناك الشعر النافذ والضعيف، رغم استعماله للمحسّنات اللفظية بشكل مبالغ فيه.

- **نماذج من شعره :**

مما تجدر الإشارة إليه أن أبا حمو كان ينظم الشعر كلما جاشت نفسه بالعواطف، ومن أصدق ما نظم جهــوده في إحياء الدولة الزيانية :

حــــالي يطول ومحنـــتي لا تنقضي　　كم لي بميدان الوغى مـــن محفل
لا بد من سوق النـــجوع مغرِّبــــا　　حتى تــكلّ مــتونــها بالأحمُل
وترى الفوارس دائرات بالعـــدى　　تــسقي لـــواردها نقيع الحنظل
يا نجل عامر سر بنا واطو السرى　　لــيلاً لــعلّ الدهر يدني منزلي
يـــا نجل عامر دارنا مع داركــم　　قد عمرت من بعدنا بالحنظل (16)

ومن الشعر الذي يـــشيد بشجاعة الفرسان والأبطال قصيدته الميميّة التي تحمل صدى المعركة التي نشبت بين بني عامر وأبي حمو.

وضمر عناجيج على صهواتـــــنا　　كرامٌ سِماح بالنّفوس الكرائــــم
نطارد فيها الخيل بالخيل مثلهــــا　　فكان على الأعداء كرّ الهزائــــم
حملنا عليهم حملة مُضَرَيَّـــــــةً　　فولّوا شراداً مثل جفل النّعائــــم
فولّت سويد ثمّ خلّت مجيرهــــا　　وشيخ حماها في الثرى أي جـــاثم
وكم قبّة طاحت وطاح أميرهـــا　　على الأرض ما بين الصفا والوثائم
فحاز الثنا فيها سقير بن عامـــر　　كما حاز من قبل دياب بن غـــانم
وطاحت على وادي ملاّل هشائم　　من القوم صرعى للنسور القشاعم (17)

أما في الرثاء فقد أشـــاد بـــوالده، وقصيدته تثبت مدى حنانه وتعلّقه بشخصية والده، فيقول فيها :

قد كان لي في الدنيا أب يساعدني   فصار تحت الثرى في لحفه اكتنفا
مددت في ظل نعماه يدي زمـــنا   ونلتُ من رفده في دهره التّحفـــا
يسره إن رآني ســـــرت في ترف   ويستزيد على الأعداء بي صـــلفا
وإن عراني ما اخشاه من دنــــف   بكى ورقّ وأضحى يشتكي لهفـــا [18]

أما أجمل ما كتب فكان في **المولديّات.**

- **أبو حمّو وإحياء المولد النبوي الشريف :**

لم يتربّع أبو حمو على عرش تلمسان حتى حانت ليلة المولد النبوي فاحتفل لها كما كان يفـــعل مـــلوك المغرب و أمراء الأندلس ، وقد وصفها يحي بن خلدون كالآتي :

" ... أطلت ليلة الميلاد النبوي على صـــاحبها فأقام لها بمشور داره مدعى كريماً احتشدت له الأمم ، فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ، والخليـــفة – أيّده الله – تصدّر مجلسها ممتطياً سرير ملكه يسر الناظرين عزّه ، يطاف عليهم بالمباخر ، وخزانة المنجانة ذات تماثيل اللجين المحكمة تشير إلى الساعة ، والمسمع قائم يردّد أمداح سيد المرسلين بقصيدة العاهل الكريم الذي يندم فيها على على ما اقترفه من ذنوب ...". (19)

– **بنية قصيدة المولديّات :**

تحتل المولدّيات مكانة هامة في شعر أبي حمو ، وكانت تنظم بالتطرق على مـــوضوعات مـــختلفة اعتاد الشعراء أن يذكروها في أشعارهم، فمطلع القصيدة يستهل بفضل ليلة المولد والندم على حياة الترف واللهو وطلب الشفاعة من الرسول، ويأتي الموضوع الرئيسي وهو مـــدح الرسول وذكر معجزاته، ثم مدح السلطان ومزاياه – وكانت هذه الخيرة مقتصرة على غيره من شعراء البـــلاط أما أبو حمو فكان يلتزم بالبكائيات على أيام اللهو ويكتفي بذكر الشوق للأحباب، ومن ذلك ما نقرؤه في شعره الآتي :

ألفت الضنى وألفت النحيبا   وشبّ الأسى في فؤادي لهيبـــا
وحقّ لنفسي أسى أن تذوبا   وللدمع من مقلتي أن يصوبـــــا
جفاني الحبيب فسرّ الحسود   وأدنى البعيد وأقصى القريبـــــا

وفي مواضع أخرى يقول :

فأيقظني الشيب من غفلتي ففي لمتي من حديثي نبا

ومن لب القصيدة في مدح المصطفى :

بلاد مقدسة حـــلّهـــا نبي الهدى المصطفى المجتـــبى

فشهر ربيع أتى برفيـــع نبي شـــفيـــع لمـــا أذنـــبا

نبي أتى رحمة للعبـــاد وأظهر للحق نوراً خبــــا

ونيران كسرى قد أخمدت فللّه ذلك ما أعجبــــا

وكسرى تساقط إيوانـــه وذاق من الرعب كأس الظبى

وكم معجزات لخير الأنام تجلّ عن الوصف أن تحســبا (20)

وبنهي نظمه بختمة مالوفة تتضمن التضرع إلى الله – عزّ وجلّ – لطلب المغفرة ، وفي ذلك :

فيا سيدا قد حباه الإلـــــه على الخلق طرّا بما قد حبا

يخصّك موسى بأزكى ســـلام يروق النفوس كنشر الكبا (21)

خامساً: الملامح الحضارية في الدولة الزيانية في عهد أبي حمو :

1 – الحياة الاقتصادية :

كانت إمارة تلمسان –ولا تزال– منطقة فلاحية يتنوّع فيها الإنتاج الفلاحي كالحبوب بمختلف أنواعهـــا وخاصة القمح، الذي كان يصدّر فائضه إلى إمارات الأندلس، وتزرع أيضاً الفاكهة ومنها كروم العنب والزيتون والـــلوز والخرّوب، واشتهرت زراعة الخضر بأنواعها والتي تعتمد على الري وخاصة الفول والقثاء، واعتنى المزارعـــون في ندرومة بالقطن والكتّان اللذان يدخلان في الصناعة، وشاعت تربية الأبقار في السفوح وتربية النحل والخيل.

أما الصناعة فكانت منتشرة بشكل كبير وخاصة صناعة النسيج التي مادتها الأولى الصوف، كما تحاك الألبسة القطنية، وقد ذكرت تقارير الكـــشوفات الآثـــارية في ندرومة أنه

قد تم العثور على أفران تستخدم لصناعة الخزف وامتهن السكان الحدادة وبرعوا في صنع الأسلحة والرماح والدروع.

ولقد وصف المؤرخون **خزانة المانجانة** التي تدل على تطور الصناعات الميكانيكية الدقيقة آنذاك.

وضربت النقود في عهده بالفضة والذهب.

ولم تكن الصناعة مقتصرة على الرجال فقط، وإنما شاركت المرأة بالحياكة وكافة أعمال الخياط (22).

أما التجارة فكانت القوافل التي تأتي من تمبكتو وغانة والسنغال لابد وأن تقف بتلمسان للتزود والاستراحة وتبادل البضائع، وقد سمح ازدهار التجارة لأن يكوّن أبو حمو علاقات طيبة مع الأندلس وبني حفص بتونس (23).

2 – الحياة الثقافية والعمرانية :

قام أبو حمو بتأسيس المدارس في تلمسان التي تعنى بالعلوم العقلية والنقلية، وأُنشئت المكاتب العلمية في المساجد مما ساعدت على نشر القراءة وبعث النشاط الدبي والشعري بوجه خاص.

ومن أبرز العلماء في عهده عبد الله الشريف وسعيد العقباني و أبي عبد الله التلمساني وأبي عبد الله الثغري، وفي مجال العلوم الطبيعية ابن الفحّام.

أما في المجال الفني فمن دلائل التقدم الصناعي الساعة المشهورة بالمنجانة، وهي خزانة ذات تماثيل من الفضة يعلوها طائر فراخه مضمومة تحت جناحيه وأبوابها مهتزة عند كل ساعة تنفتح ليخرج من بابها عقابان يصدران صوتاً، وفي فم كل منهما قطعة نحاسية يلقيان بها في وعاء يذهب بالقطعة إلى داخل الخزانة فترن، ويُفتح باب الساعة لتبرز منه امرأة تحمل في يمينها رقعة عليها اسم الساعة الحالية وبذلك يعرف الوقت بالتحديد (24).

(2) (حاجيّات) عبد الحميد، أبو حمّو موسى الزيّاني – حياته وآثاره – ، ط . 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص – ص (69 – 71).

(3) (الطمّار) محمد بن عمرو، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1985، ص. 145

(4) المرجع نفسه، ص . 152.

(5) (الدرّاجي) بوزيّاني، نظام الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص . 145.

(6) (القاضي) وداد، " النظريّة السياسية للسلطان أبي حمّو الثاني ومكانها بين النظيات السياسية المعاصرة لها "، مجلّة الأصالة، ع . 27، مطبعة البعث، قسنطينة، سبتمبر 1975، ص . 59.

(7) المرجع نفسه، ص . 58.

(8) المرجع نفسه، ص . 61.

(9) (شلبي) أحمد، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط . 3 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1969، ص . 247.

(10) (بوعزيز) يحي، موجز في تاريخ الجزائر، ج . 1، ط . 1 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، الجزائر، 1965، ص . 127، و: محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص . 157.

(11) (بوروبية) رشيد وآخرون ، المرجع السابق ، ص . 97 .

(12) (حاجيّات) عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص . 187 .

(13) المرجع نفسه ، ص . 189 .

(14) (القاضي) وداد ، المرجع السابق ، ص . 64 .

(15) (حاجيّات) عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص . 206 .

(16) المرجع نفسه ، ص . 211 .

(17) المرجع نفسه ، ص . 212 .

(18) المرجع نفسه ، ص . 218.

(19) المرجع نفسه ، ص . 220 .

(20) المرجع نفسه ، ص . 226 .

(21) (ابن عميرة) لطيفة ، " الأوضاع الإقتصادية في الإمارة الزيّانية " ، مجلة الدراسات التاريخية ، ع . 8 ، الجزائر ، 1994، ص. 72.

(22) المرجع نفسه ، ص . 73 .

(23) (ابن خلدون) يحي ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، ج . 1، تحقيق : عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية ، الجزائر، 1980، ص. 39.

(24) المصدر نفسه ، ص . 40.

(25) (الطمار) محمد بن عمرو ، المرجع السابق ، ص . 158.